الزواج . . .

للاستاذ يحيى هويدى

الزواج رابطة تنشأ بين اثنين وتقوم على ثلاثة أسس لا غناء عنها فى فهم ما هية الزواج وتحديد المقصود منه . واذا قلنا إن الزواج يقوم على أسس ثلاثة ، فنحن نقصد أنه يقوم على هذه الأسس مجتمعة ، ولا بد من ثلاثتها لكى يفهم الزواج على وجهه الصحيح ، وهذه الأسس الثلاثة هى : أساس فيزيقى ، وأساس نفسى ، وأساس اجتماعى ، ولكل فريق أن يتحمس بعد هذا لميدانه الخاص ، ولكل أن يذهب فى تحمسه هذا إلى أبعد الحدود . فليأخذ عالم النفس مثلا الناحية النفسية فى الزواج ، ويوليها اهتماما خاصا غافلا عن الناحيتين الأخريين ، وليأخذ عالم الاجتماع الناحية الاجتماعية فيه ويشتط فى آرائه إلى غير حد حتى يرجع إلى هذه الناحية كل ما يتعلق بالزواج ، وليأخذ الطبيب بدوره الناحية الفيزيقية من الزواج ضاربا صفحا عن الناحيتين النفسية والاجتماعية فيه ، ليفعل إذن كل ما يبدا له ، ولكن لايسع الرجل المعتدل الا أن يوفق بين آرائهم جميعا ليظفر من هذا برأى مفيد حول الزواج .

أما الناحية الفيزيقية فى الزواج فهى أشهر من الناحيتين الأخريين ، وهى وحدها التى يعرفها رجل الشارع ولا يتعدى فهمه الضيق للزواج حدودها ، وهى عبارة عن اجتماع الطرفين اجتماعا يحقق النشاط الجنسى ويؤدى الى لذة نوعية خاصة .

على أننا اذا لم نفهم الزواج الا من ناحيته هذه وقنعنا بالجانب الحيوانى منه ، فسنهوى بالانسان الى الدرك الأسفل ، وستفقد الانسانية أجل صفاتها . فالانسان مخلوق له اتجاهاته الفكرية وميوله النفسية والاجتماعية الخاصة به ، ولا بد أن نراعى هذا كله عند الحديث عن الزواج ، فلو نظرنا الى الزواج من الناحية النفسية مثلا ، لوجدنا أن فيه تحقيقا لرغبات نفسية وغرائز فطرية عند الرجل والمرأة ، فما أعظم اللذة التى يشعر بها الزوج فى احتماله المسئولية الملقاة على عاتقه . وهو وإن تقبلها مرة وسخط على الزواج من أجلها مرات ، فهو سعيد بها على كل حال ، مطمئن اليها وان طالت شكواه . وما أعظم الثقة التى تملأ جنبات نفسه إذ يعول أسرته ويرضى غريزة الأبوة فيه ، وتلأم من جانبها الخاص ميولها واتجاهاتها النفسية التى تتحقق فى الزواج ، فهى تشعر باستقرارها فى كنف عاداها ، وتشعر أيضا بأنه كفء لها فتزداد بذلك تعلقا به وتطيب نفسها بهذا الشعور ، هذا المزيج من الرغبات النفسية التى وجدت ميدانا جديدا لتحقيقها ، وهذا الخليط من الغرائز الفطرية ، كل هذا له عالم خاص به وجانب هام فى الزواج .

واذا تركنا الجانب النفسى فى الزواج لكى ننتقل الى الجانب الاجتماعى منه ، وجدنا أن لكل مجتمع آراءه الخاصة وتقاليده واتجاهاته فيما يتعلق بهذا الموضوع ، ويتحكم المجتمع

فى الزواج منذ اللحظة الأولى : مراسيم الزواج ، شروطه ، ما يترتب على الزواج من ميراث وطلاق .. الخ ، هذا فضلا عن أن الزواج يرضى فى الانسان غريزة من أهم غرائزه وهى الغريزة الاجتماعية ، الأمر الذى يقرب بين الناحيتين النفسية والاجتماعية من الزواج بصورة واضحة .

تلك هى النواحى الثلاث التى علينا أن نفهم الزواج على أساسها ، وليس لنا بعد ذلك أن نفاضل بين هذه النواحى ، وليس علينا أن نجعل لهذه الناحية أهمية أكثر من تلك ، فان العلم لا يعبأ بالمفاضلة ، ولا يعنيه الا تقرير الوقائع كما هى دون مفاضلة بينها ، هذا فضلا عن أننا لن نجنى كثيرا أو قليلا اذا انتهينا الى أن هذه الناحية خير من الأخرى ، أو كان العكس هو الصحيح .

* * *

والآن ما الذى يدفع الشاب الى الزواج ؟ ان تفكير الشاب فى الزواج قد يتم بين عشية وضحاها ، وقد يقوم على تنفيذ ماعزم عليه دون ابطاء أو امهال ، ماذا يأمل فيه اذن ذلك الشاب الذى طلق حياة العزوبة وارتمى فى أحضان الحياة الزوجية ؟ وما الذى ينقصه فى حياته الأولى ويفكر فى إكماله بالحياة الثانية ؟ وبعبارة أخرى ، أى أساس من أسس الزواج الثلاث التى أشرنا اليها أجدر بالالتفات منا ، وأحق بالتفكير من جانبه ؟ أهى الناحية الفيزيقية بما فيها من إشباع لنشاطه الجنسى ؟ أهى الناحية النفسية بما فيها من تبادل للعواطف بين الطرفين وارضاء لاتجاهات نفسية متعددة ؟ أهى الناحية الاجتماعية بما فيها من قيام روابط أسرية كانت معدومة ؟

من التجنى على الزواج أن نجعل قيمته قاصرة على ناحيته الفيزيقية فحسب ، فقد لا يفكر الشاب عند إقباله على الزواج فى ارضاء هذه الناحية اطلاقا ، وقد لا يعيرها أدنى اهتمام ، ومع ذلك يقبل على الزواج بثبات دون تردد . بل ان حال شبابنا فى مجتمعاتنا الحديثة هى نفس هذه الحال ، فان الكثير منهم قد أطاع صوت الشيطان مرات ، وأرضى الدافع الجنسى مرات ، ومع ذلك فهو يقدم على الزواج . وهذا مايدعونا الى التفكير فى الأساسين الآخرين اللذين يقوم عليهما الزواج . ومن ناحية أخرى فنحن نرى أن بعض الزيجات لا يحقق هذه الناحية الفيزيقية — بعد مضى وقت — لعائق من العوائق ، ومع ذلك فان أحدا لا يستطيع أن ينكر قيام هذه الزيجات بل ونجاحها .

فالشاب اذن لا يقدم على الزواج لتحقيق الغرض الفيزيقى منه فحسب ، ولن تستطيع أن تظفر بشاب له هذا الرأى فى الزواج .

الحق أن الشاب الذى يقدم على الزواج لابد أن يكون مقتنعا بقيمته من الناحية النفسية والاجتماعية ، انه يود شريكة له فى الحياة ، تبادله العاطفة وتخلص اليه النجوى وتشيع فى جنباته الهدوء والطمأنينة ، انه يود زوجة يفزع اليها عند غضبه ويأسه ، فتبدهد من

ثار نفسه المتهبة وترد عليه أمنه وأمله ، ثم بعد هذا كله أليس هو بكائن اجتماعى ؟ انه ضجر من الحياة التى عاشر فيها نفسه سنوات ، أعنى حياة العزوبة ، وهو يتطلع الآن الى حياة أجدى عليه وعلى أمته ووطنه من عزلته التى احتملها كارها أعواما وأعواما . انه يقصد الى حياة اجتماعية حتة ، بكل ما فى هذه الكلمة من معنى .

انه أقبل اذن على هذه الحياة الجديدة لما وجد فيها من وسيلة لتحقيق غرائزه النفسية وميوله الاجتماعية ونشاطه الجنسى ، وكل هذا مجتمع ومتداخل ومتشابك معا ، وليس الزواج بعد ذلك قاصرا على الناحية الجنسية فيه ، بل ان الناحيتين النفسية والاجتماعية أحق بالنظر وأولى بالاعتبار من هذه الناحية .

قال الله تعالى « هو الذى خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » . فهذه الآية الكريمة تشير ابلغ اشارة الى الناحيتين الاجتماعية والنفسية فى الزواج ، فقد خلق الله لنا زوجات لنسكن اليها ، نحن معشر الرجال ، ولنحيا معهن حياة اجتماعية ، ولنعاشرهن معاشرة نطلق فيها حياة العزوبة ، ونحقق فيها غريزتنا الجمعية ، ثم أشارت الآية بعد ذلك الى الناحية النفسية فى الزواج ، فالزواج وسيلة لقيام المودة والرحمة بين الزوجين ، وفيه ارضاء لميول نفسية متعددة وتفهم للمشارب والأذواق بين الاثنين .

نظرة الى تقاليدنا !

واذا كان الزواج ليس ميدانا لإشباع الميول الجنسية فحسب ، بل فيه تحقيق لميول نفسية واجتماعية الى جانب ذلك ، فلا بد أن نرتب على هذا نتيجة طبيعية ، فلو نظرنا نظرة عابرة الى تقاليدنا المصرية ، وجدنا أن الوالد كان ومازال ، يحرص على إخفاء ابنته عن طالب يدها حتى يصبح أمر زواجهما ثابتا مؤكدا ، أجل ! ان عددا وافرا من الآباء قد تحلل من هذا التقليد ورمى به وراء ظهره ، ولكن مازال البعض منهم يحترمه ويرى أن الخير كل الخير ألا يرى "الخطيب" ابنته الا فى وقت متأخر ، فالى هؤلاء الآباء المحافظين ، والى الآباء الذين تحللوا من هذا التقليد دون أن يفهموا الحكمة من وراء ذلك أوجه الحديث فأقول :

" أجمعت الشرائع على أن الزواج ليس رابطة جنسية فحسب ، بل ان شريعة ما من الشرائع لم تذكر هذا التعريف للزواج اطلاقا . وقد فصلنا هذا سابقا وقلنا ان الزواج له ناحية نفسية وأخرى اجتماعية جديرتان بالاعتبار الى جانب ناحيته الغريزية ، فاذا جئنا بعد هذا وقلنا بضرورة التمسك بهذا التقليد القائل بألا يرى الشاب شريكة حياته الا فى يوم الزواج مثلا ، فمعنى هذا أننا ننظر الى الزوجة نظرة لا تليق بها ، وأنزلناها منزلة دنيا ،

وقصرنا علاقتها مع زوجها على الناحية الجنسية ، وفى هذا مغالاة كما سبق أن قلنا للغرض الصحيح من الزواج . وتفصيل ذلك أنه لو كان هذا الأب قد نظر الى الزواج هذه النظرة التى نظرناها نحن ، ما كان يفكر مطلقا فى أن يحتفظ بهذا التقليد الذى لامبرر له ، ولو كان قد وقف على ناحيتى الزواج النفسية والاجتماعية ما كان نظر الى ابنته وزوجها هذه النظرة الضيقة ، ولما اعتبر أن الزواج وسيلة لتحقيق النشاط الجنسى عند الاثنين فحسب ، ولو كان قد نظر الى كل منهما على أنهما كائنان لهما ميولهما النفسية والإجتماعية ، فوق ميولهما الجنسية ، لأتاح لهما فرصة الاجتماع لتبادل الآراء وليقف كل على مشارب الآخر وأذواقه وميوله . ان الزواج القائم على أسس نفسية صحيحة كما قال "أكستر" هو خاتمة المطاف بين اثنين ؛ وليس من الضرورى أن يبدأ فى يوم الزواج .

والثورة على هذا التقليد العتيق لها نتائج طيبة ، فنحن نعلم أن كل عمل لا بد أن يسبق بمقدمات ، وكل مشروع لا بد أن يهيأ له الجو الصالح قبل تنفيذه . أليس الزواج بدوره — باعتباره مشروعا لحياة مستقبلة طويلة — أجدر بهذه المقدمات وأولى بهذه التهيئة ؟

فمن تلك المقدمات التى لا بد أن تسبق الزواج ، أن ترفع الكلفة بين الزوجين حتى يكون لهما من الجراة ما تسمح لهما بالتوجه بصحبة ذويهما مثلا — الى الطبيب للكشف عليهما طبيا . وهذا ما يسمونه بالاختبار الطبى السابق للزواج .

وهناك نوع آخر من التهيئة للزواج أكثر أهمية من الأولى ، وهذه التهيئة تهيئة نفسية فى حين أن التهيئة الأولى تهيئة فيزيقية . فعلى كل من الزوجين ، وعلى الزوج بصفة خاصة أن يقوم بتعرف عواطف الزوجة واتجاداتها الفكرية والعاطفية . وليس بكاف أن يقتصر الأمر على المعرفة بل يجب أن يتحقق بين الاثنين انسجام تام فى المشارب والأذواق لكى تتحقق السعادة فى الحياة الزوجية المقبلة . ولن يتيسر هذا كله إلا إذا قضينا على هذا التقليد الذى أشرنا اليه .

وبعد ، فهذه ملاحظات عابرة عن الزواج قصدت من ورائها إلى شيئين :

(أولا) إلى بيان قيمة الزواج من ناحيته النفسية والاجتماعية لكى نفرق بذلك بين الحرارة الحيوانية فى النشاط الجنسى للحيوان وبين الزواج بما فيه من نواح نفسية واجتماعية متعددة .

(ثانيا) ومن ناحية أخرى ، فقد قصدت إلى إبداء ملاحظاتى الشخصية عن تقاليدنا المصرية فى هذا الصدد وما يعتور هذه التقاليد من نقص وفساد .

يحيى دويدى
المدرس بأسوان الثانوية